The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Lamentations 2:1-3:23	سِفْر مراثي إرميا 2: 1 3: 23
#**0750**	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 945
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَك سميث

المقدِّمة

مقدِّم البرنامج

أعزَّاءَنا المستَمعينَ، أهلًا بكُمْ في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامجِ الإذاعيِّ ''الكلمةُ لِهَذا اليَوم''، حيث سنتابعُ في هذه الحلقةِ بنعمةِ اللهِ الرحيمِ دراستَنا في سِفرِ مراثي إرمِيا من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

في الحلَقةِ السابِقةِ من برنامَجِنا، استعرَضَ القسُّ تشَك مقدِّمةً إلى سِفرِ مراثي إرمِيا، وتناوَلَ الحُزنَ الذي اكتنَفَ إرمِيا جرَّاءَ المصيبة التي حلَّتْ بمدينةِ أورُشَليمَ.

وفي حلقة اليوم من برنامَجِ ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سوف نُتابِعُ تأمُّلاتِ إرميا في الهَلاكِ الذي لَحِقَ بأُورُشَلِيمَ على يدِ الجَيشِ البابليِّ في أيَّامِ الملكِ نبوخَذنصَّرَ.

فَإِنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصحاحِ الثاني من سِفرِ مراثي إرمِيا والعددِ الأوَّلِ منه، أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ الآنَ، فنرجو منك، عزيزي المستمِع، أنْ تُصْغِيَ بِروحِ الصَّلاةِ والخُشوعِ بينما يتابِعُ القسُّ تشَك تأمُّلاتِه من هذا السِّفرِ.

وَالآنْ نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين، مَعَ دَرْسٍ قَيِّمٍ مِنْ سِفْرِ مراثي إرميا من إعدادِ القسِّ تشَك سميث.

[متن العظة القسُّ تشك]

نبدأ أعزَّاءَنا المستَمِعين، في حلَقةِ اليَومِ دراستَنا في سِفرِ مراثي إرمِيا، من الأصحاحِ الثاني والأعدادِ من الأوَّلِ إلى الرابعِ، والتي جاء فيها:

''كَيْفَ غَطَّى السَّيِّدُ بِغَضَبِهِ ابْنَةَ صِهْيَوْنَ بِالظَّلاَمِ. أَلْقَى مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَخْرَ إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَوْطِئَ قَدَمَيْهِ فِي يَوْمِ غَضَبِهِ. ابْتَلَعَ السَّيِّدُ وَلَمْ يَشْفِقْ كُلَّ مَسَاكِنِ

يَعْقُوبَ. نَقَضَ بِسَخَطِهِ حُصُونَ بِنْتِ يَهُوذَا. أَوْصَلَهَا إِلَى الأَرْضِ. نَجَّسَ الْمَمْلَكَةَ وَرُؤَسَاءَهَا. عَضَبَ[1] بِحُمُوِّ غَضَبِهِ كُلَّ قَرْنٍ لإِسْرَائِيلَ. رَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ يَمِينَهُ أَمَامَ الْعَدُوِّ، وَاشْتَعَلَ فِي يَعْقُوبَ مِثْلَ نَارٍ مُلْتَهِبَةٍ تَأْكُلُ مَا حَوَالَيْهَا. مَدَّ قَوْسَهُ كَعَدُوٍّ. نَصَبَ يَمِينَهُ كَمُبْغِضٍ وَقَتَلَ كُلَّ مُشْتَهَيَاتِ الْعَيْنِ فِي خِبَاءِ بِنْتِ صِهْيَوْنَ. سَكَبَ كَنَارٍ غَيْظَهُ".

لا بدَّ أنَّ الأمرَ كانَ صادمًا ومُحزِنًا لإرمِيا بَينما كان يرى دَمارَ مدينةِ أورُشَليم على يَدِ جَيشِ بابلَ. فبَعدَ ثمانيةَ عشرَ شهرًا من الحِصارِ المستمرِّ، تمكَّنَ البابليُّون من اقتِحامِ المدينةَ، وقَتْلِ أهلِها بالسَّيف. وكانَ الوضعُ غايةً في البؤسِ؛ لأنَّ الناسَ كانوا جِياعًا حتَّى قبلَ أن يدخُلَ البابليُّونَ ويَهدِموا الأسوارَ ويدمِّروا المدينة وشعبَها. ومن الواضِح أنَّ إرْمِيَا لم يستَطِعْ أن يُخرِجَ تلك المَشاهدَ من ذِهْنِه؛ لأنَّها كانت مَطبوعةً بقوَّةٍ فيه. وها هو الآنَ يَرى مدينتَه الحبيبةَ أورُشَليمَ في حالةِ خرابٍ هائلٍ، فراحَ يتفكَّرُ في الأمورِ التي سبقَ أن رآها. ولا بدَّ أنَّ واقعَ تلك المَشاهِدِ كانَ قاتِمًا وفظيعًا حتَّى إنَّه تركَ كلَّ هذا الأثَرِ في ذِهنِ النبيِّ إرميا على نحوٍ تَقْشَعِرُّ له الأبدانُ. وربَّما اختَبَرْنا نحن صُوَرًا ذهنيَّةً كان من الصعبِ علينا التخلُّص منها. والمحزنُ هو أنَّ الناسَ الجِياعَ والضُّعَفاءَ والمهزومينَ والهالِكينَ هم أنفسُهُم مَن كانوا في يَومٍ من الأيَّامِ أقوِياءَ وذوي سُلطةٍ.

ونتابِعُ ما جاءَ في الأعدادِ من الخامسِ إلى السابِعِ من الأصحاحِ الرابِعِ، ونقرأُ فيها:

"صَارَ السَّيِّدُ كَعَدُوٍّ. ابْتَلَعَ إِسْرَائِيلَ. ابْتَلَعَ كُلَّ قُصُورِهِ. أَهْلَكَ حُصُونَهُ، وَأَكْثَرَ فِي بِنْتِ يَهُوذَا النَّوْحَ وَالْحُزْنَ. وَنَزَعَ كَمَا مِنْ جَنَّةٍ مَظَلَّتَهُ. أَهْلَكَ مُجْتَمَعَهُ. أَنْسَى الرَّبُّ فِي صِهْيَوْنَ الْمَوْسِمَ وَالسَّبْتَ، وَرَذَلَ بِسَخَطِ غَضَبِهِ الْمَلِكَ وَالْكَاهِنَ. كَرِهَ السَّيِّدُ مَذْبَحَهُ. رَذَلَ مَقْدِسَهُ. حَصَرَ فِي يَدِ الْعَدُوِّ أَسْوَارَ قُصُورِهَا. أَطْلَقُوا الصَّوْتَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كَمَا فِي يَوْمِ الْمَوْسِمِ".

أيْ أنَّ الأعداءَ كانوا يبتَهِجون ويهلِّلونَ في أثناءِ تدميرِ المَدينة. وكانت أصواتُهُم شبيهةً جدًّا بأصواتِ الابتهاجِ والتهليلِ في أيَّامِ الأعيادِ والاحتِفالاتِ، وكأنَّ تدميرَهُم للمدينةِ كانَ عيدًا لأولئكَ الأعداءِ، رغمَ أنَّه حَدَثٌ بائسٌ للعبرانيِّينَ.

---

[1] للتنبه: هذه الكلمة بالعَين وليس بالغَين.
وهي تعني رجع عن الأمر، أو قطعَ الشيءَ (المعنى الأقرب هنا بمعنى قطع قرن إسرائيل) بحسب قاموس المعاني.

ونواصِلُ تأمُّلاتِنا في الوَصفِ الحزين الذي يحكيه إرميا، حيثُ نقرأُ الأعدادَ من الثامنِ إلى الحاديَ عشرَ من الاصحاحِ الثاني، وجاء فيها:

''قَصَدَ الرَّبُّ أَنْ يُهْلِكَ سُورَ بِنْتِ صِهْيَوْنَ. مَدَّ الْمِطْمَارَ. لَمْ يَرْدُدْ يَدَهُ عَنِ الإِهْلاَكِ، وَجَعَلَ الْمِتْرَسَةَ وَالسُّورَ يَنُوحَانِ. قَدْ حَزِنَا مَعًا. تَاخَتْ فِي الأَرْضِ أَبْوَابُهَا. أَهْلَكَ وَحَطَّمَ عَوَارِضَهَا. مَلِكُهَا وَرُؤَسَاؤُهَا بَيْنَ الأُمَمِ. لاَ شَرِيعَةَ. أَنْبِيَاؤُهَا أَيْضًا لاَ يَجِدُونَ رُؤْيَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. شُيُوخُ بِنْتِ صِهْيَوْنَ يَجْلِسُونَ عَلَى الأَرْضِ سَاكِتِينَ. يَرْفَعُونَ التُّرَابَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. يَتَنَطَّقُونَ بِالْمُسُوحِ. تَحْنِي عَذَارَى أُورُشَلِيمَ رُؤُوسَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ. كَلَّتْ مِنَ الدُّمُوعِ عَيْنَايَ. غَلَتْ أَحْشَائِي. انْسَكَبَتْ عَلَى الأَرْضِ كَبِدِي عَلَى سَحْقِ بِنْتِ شَعْبِي، لأَجْلِ غَشَيَانِ الأَطْفَالِ وَالرُّضَّعِ فِي سَاحَاتِ الْقَرْيَةِ''.

لقد كان الوضعُ أقوى ممَّا يُحتَمَل؛ حيث رأى إرمِيا أنَّ الأطفالَ وَالرُّضَّعَ كان يَخورون نتيجةَ قِلَّةِ الطَّعام، فكانوا يَغيبون عن الوعي أو يترنَّحون في الشوارع. كما رأى أنَّ البناتِ الصغيراتِ كنَّ يَمشينَ ورؤوسُهنَّ منحنيةٌ نحو الأمامِ على نحوٍ يكادُ يُلامسُ الأرضَ. أمَّا كبارُ السِّنِّ فكانوا يَرتَدون المُسوحَ وينظُرون إلى الناس وما يجري دون وَعيٍ بما يجري، كما أنَّهُم غَطُّوا أنفسَهم بالغُبار، ولم يكُنْ لَهُم مَكانٌ يَذهَبون إليه. فكانَ الوضعُ باختِصارٍ أنَّهُمْ كانوا دون رَجاءٍ.

ونستمرُّ في تأمُّلِ الأصحاحِ الثاني من سِفرِ مراثي إرمِيا، والأعدادِ من الثانيَ عشرَ إلى الخامسَ عشرَ، وجاء فيها:

''يَقُولُونَ لأُمَّهَاتِهِمْ: "أَيْنَ الْحِنْطَةُ وَالْخَمْرُ؟" إِذْ يُغْشَى عَلَيْهِمْ كَجَرِيحٍ فِي سَاحَاتِ الْمَدِينَةِ، إِذْ تُسْكَبُ نَفْسُهُمْ فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ. بِمَاذَا أُنْذِرُكِ؟ بِمَاذَا أُحَذِّرُكِ؟ بِمَاذَا أُشَبِّهُكِ يَا ابْنَةَ أُورُشَلِيمَ؟ بِمَاذَا أُقَايِسُكِ فَأُعَزِّيكِ أَيَّتُهَا الْعَذْرَاءُ بِنْتَ صِهْيَوْنَ؟ لأَنَّ سَحْقَكِ عَظِيمٌ كَالْبَحْرِ. مَنْ يَشْفِيكِ؟ أَنْبِيَاؤُكِ رَأَوْا لَكِ كَذِبًا وَبَاطِلًا، وَلَمْ يُعْلِنُوا إِثْمَكِ لِيَرُدُّوا سَبْيَكِ، بَلْ رَأَوْا لَكِ وَحْيًا كَاذِبًا وَطَوَائِحَ. يُصَفِّقُ عَلَيْكِ بِالأَيَادِي كُلُّ عَابِرِي الطَّرِيقِ. يَصْفِرُونَ وَيَنْغُضُونَ رُؤُوسَهُمْ عَلَى بِنْتِ أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: "أَهذِهِ هِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي يَقُولُونَ إِنَّهَا كَمَالُ الْجَمَالِ، بَهْجَةُ كُلِّ الأَرْضِ؟"''.

لقد باتَتْ أورُشَليمُ خربة ومُدمَّرةً ومنْهوبَةً، بعدَ أن كانَتْ قَبْلَ ذلك جميلةٍ على نحوٍ يأسِرُ الألبابَ، كما كانت فرحَ الأرضِ كلِّها، أمَّا الآنَ فيتَهامَسُ الناسُ عنها عندما يَمشُونَ بالقربِ منها، ويتأسَّفونَ مذهولينَ على ما جرى لها.

ونواصِلُ تفاصيلَ الوصفِ في الأعدادِ من السادسَ عشرَ إلى الثامنَ عشرَ من الأصحاحِ الثاني، ونقرأ فيها:

''يَفْتَحُ عَلَيْكِ أَفْوَاهَهُمْ كُلُّ أَعْدَائِكِ. يَصْفِرُونَ وَيَحْرِقُونَ الأَسْنَانَ. يَقُولُونَ: "قَدْ أَهْلَكْنَاهَا. حَقًّا إِنَّ هذَا الْيَوْمَ الَّذِي رَجَوْنَاهُ. قَدْ وَجَدْنَاهُ! قَدْ رَأَيْنَاهُ". فَعَلَ الرَّبُّ مَا قَصَدَ. تَمَّمَ قَوْلَهُ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ مُنْذُ أَيَّامِ الْقِدَمِ. قَدْ هَدَمَ وَلَمْ يَشْفِقْ وَأَشْمَتَ بِكِ الْعَدُوَّ. نَصَبَ قَرْنَ أَعْدَائِكِ. فَعَلَ الرَّبُّ مَا قَصَدَ. تَمَّمَ قَوْلَهُ الَّذِي أَوْعَدَ بِهِ مُنْذُ أَيَّامِ الْقِدَمِ. قَدْ هَدَمَ وَلَمْ يَشْفِقْ وَأَشْمَتَ بِكِ الْعَدُوَّ. نَصَبَ قَرْنَ أَعْدَائِكِ. صَرَخَ قَلْبُهُمْ إِلَى السَّيِّدِ. يَا سُورَ بِنْتِ صِهْيَوْنَ اسْكُبِي الدَّمْعَ كَنَهْرٍ نَهَارًا وَلَيْلًا. لَا تُعْطِي ذَاتَكِ رَاحَةً. لَا تَكُفَّ حَدَقَةُ عَيْنِكِ''.

لقد كان اللهُ أمينًا في تحذيراتِه للشَّعبِ، وقد أخبرَهُم سابقًا بأنَّه سيجلِبُ علَيهِم أعداءَهُم وسيُهلِكُهُم إنْ لم يرجعوا عن شرِّهم، وعن زِناهم الروحيِّ المتمثِّلِ بعِبادةِ الأوثانِ. غير أنَّهُم أصرُّوا على شرِّهِم، وتمادَوا فيه مع كلِّ الفُرصِ الممنوحة لهُم، فنفَّذَ اللهُ العادلُ بِهِم الدَّينونةَ التي وَعَدَ بها.

بعدَ ذلك نقرأُ الأعدادَ من التاسعَ عشرَ إلى الثاني والعِشرينَ، وجاءَ فيها:

''قُومِي اهْتِفِي فِي اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ الْهُزُعِ. اسْكُبِي كَمِيَاهٍ قَلْبَكِ قُبَالَةَ وَجْهِ السَّيِّدِ. ارْفَعِي إِلَيْهِ يَدَيْكِ لأَجْلِ نَفْسِ أَطْفَالِكِ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُوعِ فِي رَأْسِ كُلِّ شَارِعٍ. أُنْظُرْ يَا رَبُّ وَتَطَلَّعْ بِمَنْ فَعَلْتَ هكَذَا؟ أَتَأْكُلُ النِّسَاءُ ثَمَرَهُنَّ، أَيُقْتَلُ فِي مَقْدِسِ السَّيِّدِ الْكَاهِنُ وَالنَّبِيُّ؟ اضْطَجَعَتْ عَلَى الأَرْضِ فِي الشَّوَارِعِ الصِّبْيَانُ وَالشُّيُوخُ. عَذَارَايَ وَشُبَّانِي سَقَطُوا بِالسَّيْفِ. قَدْ قَتَلْتَ فِي يَوْمِ غَضَبِكَ. ذَبَحْتَ وَلَمْ تَشْفِقْ. قَدْ دَعَوْتَ كَمَا فِي يَوْمِ مَوْسِمٍ مَخَاوِفِي حَوَالَيَّ، فَلَمْ يَكُنْ فِي يَوْمِ غَضَبِ الرَّبِّ نَاجٍ وَلَا بَاقٍ. اَلَّذِينَ حَضَنْتُهُمْ وَرَبَّيْتُهُمْ أَفْنَاهُمْ عَدُوِّي"''.

وصلَتِ الحالُ إلى أنَّ النساء اضطُرِرْنَ إلى أكلِ أطفالهنَّ. ويقولُ إِرْمِيَا هنا إنَّ ما جرى

كانَ كافِيًا حتَّى يترجَّوا الله العليَّ ويَطلبوه طَوال اليوم. إذ يكفي فقط أن ينظُروا إلى أطفالِهم الخائرينَ من الجُوعِ في الشوارع، حتَّى يُصَلُّوا من أجلِهم إلى الله القدُّوسِ على رجاء أن يُحيِيَ عملَه من جديدٍ وسَطَ الشعب. وما زادَ الأمرَ سوءًا هو أنَّ السيِّداتِ الحواملَ لم يكُنَّ يتغذَّينَ جيِّدًا، لذا كان يولَدُ الأطفالُ بأحجامٍ ضئيلةٍ. ومن هنا يسعُنا أن نتخيَّلَ حجمَ المأساةِ وهَولَها، والتي جعلَتِ الوضعَ غايةً في البؤسِ.

وننتَقِلُ الآنَ إلى الأصحاحِ الثالثِ، حيثُ وصَلْنا إلى المرثاةِ الثالثةِ، وهي تغوصُ بنا في أعماقِ الاكتِئابِ واليَأسِ، ونقرأُ في العددَينِ الأوَّلِ والثاني من هذا الأصحاحِ، وجاء فيها:

"أَنَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي رأَى مَذَلَّةً بِقَضِيبِ سَخَطِهِ. قَادَنِي وَسَيَّرَنِي فِي الظَّلاَمِ وَلا نُورَ".

ويبدو الأمرُ هنا كأنَّ اللهَ المحبَّ انقلَبَ على نبيِّه؛ لأنَّ إرمِيا يقولُ هنا إنَّه رأى غَضَبَ الله، وأنَّ الربَّ أحضَرَه إلى الظُّلْمَةِ لا النُّور.

بعدَ ذلك يقولُ في الأعدادِ من الثالث إلى الثانيَ عشرَ من الأصحاحِ الثالثِ:

" حَقًّا إِنَّهُ يَعُودُ وَيَرُدُّ عَلَيَّ يَدَهُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. أَبْلَى لَحْمِي وَجِلْدِي. كَسَّرَ عِظَامِي. بَنَى عَلَيَّ وَأَحَاطَنِي بِعَلْقَمٍ وَمَشَقَّةٍ. أَسْكَنَنِي فِي ظُلُمَاتٍ كَمَوْتَى الْقِدَمِ. سَيَّجَ عَلَيَّ فَلا أَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ. ثَقَّلَ سِلْسِلَتِي. أَيْضًا حِينَ أَصْرُخُ وَأَسْتَغِيثُ يَصُدُّ صَلاَتِي سَيَّجَ طُرُقِي بِحِجَارَةٍ مَنْحُوتَةٍ. قَلَبَ سُبُلِي. هُوَ لِي دُبٌّ كَامِنٌ، أَسَدٌ فِي مَخَابِئَ. مَيَّلَ طُرُقِي وَمَزَّقَنِي. جَعَلَنِي خَرَابًا. مَدَّ قَوْسَهُ وَنَصَبَنِي كَغَرَضٍ لِلسَّهْمِ".

ويعبِّرُ إرمِيا هنا عن مشاعرِه بقَولِه إنَّ يُحِسُّ كأنَّ الربَّ بنى حَولَه سُورًا، لكنَّه سورٌ أشبَه بسِجنٍ، وإنَّه صارَ هَدَفًا لسِهامِ الله القدير.

ويكملُ بعدَ ذلكَ تَعبيرَه عن مَشاعِرِ اليأسِ في الأعدادِ من الثالثَ عشرَ إلى العِشرينَ من الأصحاحِ الثالثِ، ونقرأ فيها:

"أَدْخَلَ فِي كُلْيَتَيَّ نِبَالَ جُعْبَتِهِ. صِرْتُ ضُحْكَةً لِكُلِّ شَعْبِي، وَأُغْنِيَةً لَهُمُ الْيَوْمَ كُلَّهُ. أَشْبَعَنِي مَرَائِرَ وَأَرْوَانِي أَفْسَنْتِينًا، وَجَرَشَ بِالْحَصَى أَسْنَانِي. كَبَسَنِي بِالرَّمَادِ. وَقَدْ أَبْعَدْتَ عَنِ

السَّلَامِ نَفْسِي. نَسِيتُ الْخَيْرَ. وَقُلْتُ: "بَادَتْ ثِقَتِي وَرَجَائِي مِنَ الرَّبِّ". ذِكْرُ مَذَلَّتِي وَتَيَهَانِي أَفْسَنْتِينٌ وَعَلْقَمٌ. ذِكْرًا تَذْكُرُ نَفْسِي وَتَنْحَنِي فِيَّ".

من الواضحِ أنَّ هذا كَلامُ إنسانٍ وَصَلَ إلى الحَضيضِ، لكنَّنا نجد هنا تحوُّلًا دراميًّا من أعماقِ اليأس والاكتئاب إلى وضعٍ آخرَ مختلفٍ. وسببُ هذا التحوُّلِ هو في العددِ الحادِي والعِشرينَ من الأصحاحِ الثالثِ. ففي وَسَطِ يأسِه، وخيبةِ أملِه البالِغةِ، وأفكارِه أنَّه ليسَ هناك مَفَرٌّ، وأنَّ الله لا يستمع إليه ولا يريدُ أن يساعدَه، يقولُ العددُ الحادي والعِشرينَ:

"أُرَدِّدُ هذَا فِي قَلْبِي، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَرْجُو:"

يبدو أنَّ أمرًا ما تغيَّر في تفكيرِه. ومن المهمِّ أن نذكُرَ هنا أنَّ الكتابَ المقدَّسَ يكلِّمنا عن تغييرِ الذِّهن، ويشجِّعُنا أن نستَأسِرَ كلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ، وأنْ نفكِّرَ في الربِّ، ونجدِّدَ أذهانَنا، وُصولًا إلى مرحلةٍ جديدةٍ من إدراك النُّصرةِ والأملِ بدلَ اليأسِ والفشل.

وهذا ما فعله إِرْمِيَا، حيثُ تغيَّرَ نمَطُ تفكيرِه من الإحباطِ ورِثاءِ الذاتِ إلى التفكيرِ في الربِّ. فعندَما نفكِّرُ في أنفسِنا، نشعرُ غالبًا بالاكتئاب؛ لأنَّنا لا نرى أنَّنا اقترَبْنا من تحقيقِ ما نريدُه.

وقد وَصَلَ إرمِيا إلى تغييرٍ في تفكيرِه، حيث لم يَعُدْ يركِّزُ على نفسِه، بل على الربِّ الأمين، وقد صنعَ هذا فرقًا كبيرًا. فيا لَيتَنا نقدرُ أن نحوِّلَ أفكارَنا من التركيزِ على أنفسِنا إلى التركيزِ على اللهِ المحبِّ! وفي وقت الفشل والهزيمة والاكتئاب، نحن مدعوُّونَ لأنْ نحوِّل أفكارَنا لتكونَ على الله الحيِّ؛ بدلَ الشَّفَقة على الذَّات؛ فهذا هو سرُّ النجاة.

وفي هذا السِّياقِ، يقولُ الكتابُ المقدَّسُ في سِفرِ إشعياءَ الأصحاحِ السادسِ والعِشرينَ والعددِ الثالث:

"ذُو الرَّأْيِ الْمُمَكَّنِ تَحْفَظُهُ سَالِمًا سَالِمًا، لأَنَّهُ عَلَيْكَ مُتَوَكِّلٌ".

فلنَوجِّهْ إذًا تفكيرَنا إلى الله، وهو سيحفظنا بسلامِه الكامل. أمَّا إذا أصرَرْنا على التفكيرِ في أنفُسِنا، سنحصدُ أشكالًا عدَّةً من الاكتئابِ والإحباط.

وبالعَودةِ إلى إرمِيا، ربَّما نتساءَل عمَّا كانَ يُردِّدُه في قَلبِه وذِهنِه، فغَيَّرَ تفكيرَه على هذا النحو. ونجدُ الإجابةَ في العَددَين الثاني والعِشرين والثالثِ والعِشرينَ من الأصحاحِ الثالث، وجاء فيهِما:

"إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنَّنَا لَمْ نَفْنَ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ لاَ تَزُولُ. هي جديدَةٌ في كُلِّ صباحٍ. كثيرَةٌ أمانَتُكَ".

وفي هذين العددَينِ يُدركُ إرمِيا أنَّ الأحوالَ كان يمكنُ أن تكونَ أكثَرَ سوءًا، لكنَّ إحسانات الربِّ جعلَتْهُم يبقَونَ على قَيدِ الحياةِ. فحقيقةُ أنَّنا نستَيقِظُ في الصباح هي دليلٌ على رحمةِ الله المحبِّ؛ فاللهُ ليسَ مُجبَرًا أن يحفَظَنا، ومن مراحمه أنَّنا لم نَفْنَ.

وفي سِياقٍ متَّصِل، يقولُ بولسُ الرسولُ في رسالتِه الأولى إلى أهلِ كورِنثوس، عن المحبَّة إنَّها لا تسقُطُ أبدًا، وفي ترجمةٍ أُخرى نرى أنَّ المحبَّةَ لا تفشَلُ، وهذه هي محبَّةُ اللهِ العليِّ الذي لم يتوقَّفِ يَومًا عن قبولِنا واجتِذابِنا، في الأيَّامِ التي نكونُ فيها أبرارًا، وحين نكونُ أشرارًا؛ فمحبَّتُه لا تتغيَّر، بل تنسكبُ باستمرارٍ في قلوبِنا؛ لأنَّها لا تعتمدُ علينا بل على شخصِه الكريم.

وعلَينا أن نَعِيَ تمامًا أنَّ الله العليمَ لا ينخدعُ بالمثاليَّات الظاهريَّة. ومع أنَّه يعرفُ كلَّ واحدٍ فينا على حقيقتِه، فإنَّه ما زال يحبُّنا. فيا لَنعمتِه الفائقةِ من نحوِنا!

لقد ظنَّ إِرْمِيَا أنَّ الله المبارَك نَسِيَه، وسيَّجَ حولَه كما في سِجنٍ، ولم يَعُدْ يستَمعُ إليه. لكنْ ما إنْ تغيَّرَ تفكيرُه، حتَّى عرفَ أنَّ محبةَ الله الأمينِ لا تسقط، وأنَّ رحمتَه ومحبَّتَه تتجدَّدانِ كلَّ يوم.

ومن جهةٍ أُخرى، نقول إنَّه بينَما كان إِرْمِيَا ينظرُ إلى مدينةِ أورُشَليمَ في حالتِها الجديدةِ قد هُدِّمَتْ ودُمِّرتْ، تذكَّرَ أنَّ اللهَ كان أمينًا لأنَّه أمهَلَهُم طويلًا قبل أن ينفِّذَ وعدَه القاضي بأن يجلِبَ علَيهِمِ الأعداءَ. حيث سبقَ أن حذَّرَهُم بأنَّه سيفعلُ ذلك إنْ ظلُّوا في شَرِّهم، وفي زناهم وعباداتِهِم الوثنيَّة البغيضة. ولمَّا أصرُّوا على أسلوبِ حياتِهِم الشرِّيرِ ذاك، جلبَ عليهم جيشَ بابل، الذي أهلكَهُم بالجوع والسيفِ والأوبئةِ، وأُخذَ كثيرون منهم مسبيِّينَ

إلى بابِلَ.

ومن هذا نرى، مستمِعيَّ الأعزَّاء، أنَّ أمانةَ الله القديرُ يمكنُ أن تظهرَ في أمورٍ مجيدَةٍ ومبارَكةٍ، كما يمكنُ أيضًا أن تَظهَرَ في أمورِ الدينونةِ على مَن يستحقُّها. ويعتمدُ الأمرُ كلُّه على الجانبِ الذي يختارُه الإنسانُ. فإنْ كنَّا في الجانبِ الخاصِّ بأبناءِ الله، فسوف تظهَرُ أمانتُه في وُعودِه التي أعطاها لأبنائه، المؤمنينَ بيَسُوعَ الْمَسِيحِ، وفي كلِّ ما وعدَهُم به. لذلك نستَطيعُ بكلِّ أمانٍ أنْ نضَعَ ثقتَنا ورجاءَنا في أمانة اللهِ المحبِّ، والأبِ الحنَّانِ، وهو سيَفعَلُ ما قالَ إنَّه سيَفعلُه.

أمَّا إذا كانَ الناسُ على الجانبِ الآخرَ البعيدِ عن وعودِ اللهِ وإحساناتِه الخاصَّةِ، فإنَّهم ينتظرونَ دينونةً مُعدَّةً لكلِّ مَن يرفُضُ اللهَ العليَّ، ولا يُنصِتُ إلى وصايا اللهِ وتحذيراتِه المتتابِعةِ.

الخاتمة

مقدِّم البرنامج

رأينا في حَلَقةِ اليومِ من برنامَجِنا، أنَّ مراحِمَ الربِّ الرقيقةَ من نَحوِنا هي في كلِّ يوم. وينطبقُ هذا ليس فقط على الأمورِ الزمنيَّةِ، بل أيضًا على الروحيَّة. ومراحِمُ الربُّ هي جديدة وراسخةٌ وأبديَّة. كما لاحَظْنا اليَومَ أنَّ أحوالَ إرمِيا تبدَّلَتْ من اليأسِ والاكتِئابِ وخيبةِ الأمل، إلى الرجاءِ ورَفعِ تسبيحاتِ الحمدِ إلى الربِّ المجيدِ، وذلك عندَما انتَقَلَ من التركيزِ على نفسِه إلى التركيزِ على الربِّ.

وفي الحلَقة المقبِلةِ من برنامَج ''الكلمةُ لِهذا اليوم''، سيواصِلُ القسُّ تشَك تأمُّلاتِه، ولا سيَّما في فكرةِ أنَّنا نجدُ نصيبَنا ومكافأتَنا العُظمى في اللهِ المبارَك.

كلمةٌ ختاميَّة

(الراعي تشك سميث)

صلاتُنا لأجلك، أيُّها المستمعُ العزيز، هي أن تصدِّقَ بإيمانٍ راسخٍ أنَّ محبَّةَ اللهَ الرحيمِ لك ثابتةٌ ولا تتغيَّرُ. ونصلِّي أيضًا من أجلك لئلَّا تستَسلِمَ وتفقدَ رجاءَك إذا سقطتَ يومًا في أحَدِ فِخاخِ إبليس؛ لأنَّ الربَّ سيُقيمُك ويغفرُ لك إثمَك ويدرِّبُكَ على القِتالَ لتكونَ صُلب العودِ في معاركَكَ الآتيةِ معَ عدوِّ الخيرِ. ونصلِّي كذلك أن تكونَ نورًا وبركةً

للآخرينَ في بيتِكَ وعملِكَ وكنيستِك، ونصلِّي أخيرًا أن تطلبَ إلى الربِّ مِلْئًا مستمرًّا من الروحِ القدس، كي تعمَلَ مشيئتَه وتَسلُكَ بالرُّوحِ كما يحقُّ لإنجيل المسيح الحيِّ. بِاسْمِ يسوعَ المسيحِ نصلِّي. آمين!